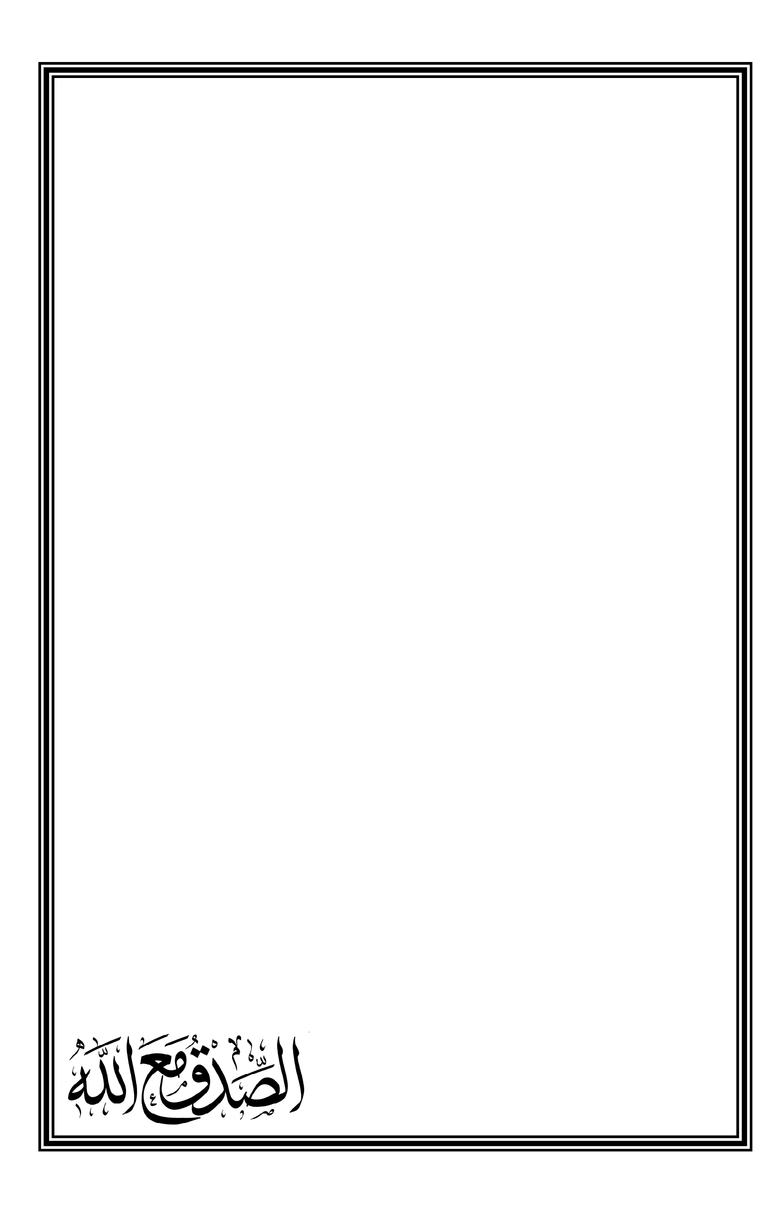
سلسلة رسائل الفضيلة ١٧



إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر




الصدق مع الله

الطبعة الأولى لدار الفضيلة
(1435هـ ـ 2014م)

رقم الإيداع: 998 ـ 2014

ردمك: 6 ـ 006 ـ 58 ـ 9947 ـ 978

دار الفضيلة للنشر والتوزيع
العنوان: حي باحة (03)، رقم (28) الليدو ـ المحمدية ـ الجزائر
هاتف وفاكس: 63 19 51 021
النقال: 92 99 06 0559

التوزيع: 08 53 62 0661

البريد الإلكتروني: darelfadhila@hotmail.com

موقعنا على الشبكة العنكبوتية: www.rayatalislah.com

سلسلة رسائل الفضيلة

(١٧)



إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ موضوعَ هذه الرِّسالة مُهمٌّ للغاية، وجديرٌ بأن تُعقَدَ لتذاكره والوقوف على مضامينه المجالس تلو المجالس؛ لكبَر هذا الموضوع وأهمِّيَّته؛ ومسيس الحاجَة إليه؛ وتَوقُّف سعادة العبد في دنياه وأخراه على تحقيقه، وأنَّه لا نجاةَ له ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرة إلَّا إذا كان

من أَهلِه، ومَنْ يُطَالِع كتابَ الله عَزَّوَجَلَّ وسنَّة نبيِّه الكريم ـ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ـ يدرك الأهمِّيَّة البالغة العظيمة لهذا الموضوع الجليل.

والصِّدق منزلةٌ عظيمةٌ جليلةٌ من منازل السَّائرين إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ، وإلى هذه المنزلة ترجع جميع أعمال القلوب، كما أنَّه إلى ضدِّها ـ وهو الكَذب ـ يرجع كلُّ فسادٍ يقع في القلب؛ فكلُّ صلاحٍ في ظاهر المرء وباطنه مرجعُه إلى الصِّدق، وكلُّ فسادٍ في ظاهر المرء وباطنه مرجعُه إلى الكذب، فعاد الصَّلاح والفساد إليهما، فالصَّلاح كلُّه عائدٌ إلى الصِّدق، والفساد كلُّه عائدٌ إلى الكذب.

وهذه الحياة الدُّنيا جعلها الله ـ تبارك وتعالى ـ دارًا للتَّمحيص والابتلاء حتَّى يتميَّزَ الصَّادق من الكاذب، والمحِقُّ من المبطِل، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [سُورَةُ العَنكبُوتِ]؛ أي أنَّ هذه الحياةَ ميدانُ امتحانٍ ودار ابتلاء، ابتلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها مَنْ كان قَبْلَنا من الأمم، ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي ابتلاهم وامتحنهم ـ جلَّ وعلا ـ بما يتميَّز به أهلُ الحقِّ من أهل الباطل، وأهلُ الصِّدق من أهل الكذب، وهذه الأمَّة مثلهم عُرضَةٌ للابتلاء نفسه.

ومعنى قوله ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ أي: فلَيَرَيَنَّ، فإنَّ المراد بالعلم: الرُّؤية؛ أي يعلمه عِلْم رُؤيةٍ ووقوعٍ لهذا الشَّيء؛ لأنَّ علمَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأعمال العباد علمٌ أزليٌّ سابقٌ قبل أن تُفعل، وعلمٌ بعد الوقوع ـ وهو المُراد هنا ـ، وهو الَّذي يترتَّب عليه الثَّواب والعقاب.

والابتلاء في هذه الحياة الَّذي يتميَّز به الصَّادق من الكاذب يرجع إلى أمرين:

أحدهما: ابتلاءٌ بالشُّبهات القادحَة في العلم والاعتقاد.

والثَّاني: ابتلاءٌ بالشَّهوات القادحَة في الإرادة والعَمل.

فمَن وفَّقه الله ـ جلَّ وعلا ـ عند ورود الشُّبهات إلى السَّلامة منها بما آتاه الله من اعتقادٍ صحيحٍ، وإيمانٍ راسخٍ، وصدقٍ مع الله وقوَّةِ صلةٍ به ـ تبارك وتعالى ـ، والتجاءٍ إليه؛ فإنَّه يفوزُ في هذا الابتلاء وينجح.

كذلك إذا وردَت عليه دواعي الشَّهوات، فابتعد عنها، ولاذ بالطَّاعة، والإقبال على الله ﷻ، وطلبِ النَّجاة منها، والفِرار مِن دروبها وسبُلها؛ فإنَّه يفوزُ ـ أيضًا ـ بتوفيقٍ من الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الابتلاء وينجح.

أمَّا ـ والعياذ بالله ـ من تخطَّفَتْه الشُّبهات، أو أَهلَكَتْه الشَّهوات، فهذا من أمارات وعلامات عدم صدقه مع الله عَزَّوَجَلَّ، أو ضعف ذلك، وبهذا يتميَّز النَّاس، وينقسمون إلى فريقين: فريق الصِّدق، وفريق الكَذب.

والنَّاصح لنفسه يحرصُ على زمِّها بزمام الشَّرع،

وأخذها بقيوده وضوابطِه؛ لتسْلَم منَ الهلكة؛ ولتفوز في هذا الامتحان العظيم، والتَّوفيق بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ لا شريك له، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

ولمَّا كان الصِّدق بهذه المكانة العليَّة، والمنزلة الرَّفيعة، تكاثرت النُّصوص في الحثِّ عليه والتَّرغيب فيه، وبيان فضله وعلوِّ منزلته، وأنَّه لا نجاةَ للعبد إلَّا به، ومن ذلكم ـ على سبيل الإشارة ـ قَول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ]، وهذا أمرٌ للعباد بأن يكونوا مع الصَّادقين، وذلك بأن يكونوا من أهل الصِّدق؛ إذ لا يكون المسلم معَهم إلَّا إذا تحلَّى بحِلْيَتِهم، واتَّصف بصفتِهم، فيكون بذلكَ منهم، وقد جاء هذا الأمر الإلهيُّ بعد ذكر توبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الثَّلاثة الَّذين خُلِّفوا في

غزوة تبوك، وأنَّهم لم تتحقَّقْ نجاتُهم إلَّا بصدقِهم مع الله ﷻ، وصدقِهم مع رسولِه ـ صلواتُ الله وسلامُه عليه ـ، ومجانبتُهم للكَذب وبُعدُهم عنه، فالصِّدقُ منجاةٌ وقوَّةٌ وطمأنينةٌ، والكذب مهواةٌ وريبة وخيبةٌ.

وفي قصَّة الثَّلاثة النَّفر الَّذين أطبقَت عليهم صخرة في الغار ممَّن كانوا قَبْلَنا، وقصَّتُهم في «الصَّحيحين» وغيرهما من حديث ابن عُمَر وأبي هُريرة وأنَس رضي الله عنهم وغيرهم، وفي روايةٍ لهذا الحديث في «صحيح البخاري» من حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما أنَّ هؤلاء الثَّلاثة عندما أطبقَت عليهم الصَّخرة قال بعضُهم لبعض: «**إِنَّهُ وَاللهِ يا هَؤُلاَءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ**»(١).

تنبَّه لهذا؛ إذ ليست كلُّ الأعمال الظَّاهرة صدقًا مع

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٦٥).

الله، ـ تبارك وتعالى ـ، وإنَّما الصِّدقُ مع الله أمرٌ يرجع إلى القلب وباطن الإنسان، وأيَّ شيءٍ كان يريد بهذا العمل وما مقصده به، ولهذا لمَّا تَوسَّل كلُّ واحدٍ من هؤلاء بصالح عمله؛ أحدُهم توسَّل إلى الله عَزَّوَجَلَّ ببرِّه لوالديْه، والآخر بعفَّتِه عن الزِّنا بعد تمكُّنه منه في سابقِ رغبةٍ عظيمةٍ وحرصٍ شديدٍ، والثَّالث توسَّل إلى الله بتوفيَة الأجير حقَّه وافيًا مع إعطائه ـ أيضًا ـ ما حصل لأجرة هذا الأجير من نماءٍ وزيادةٍ، قال كلُّ واحدٍ من هؤلاء في توسُّله إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ: «**إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً**»[1].

فالصِّدق هو منجاةُ العبد من فتن الدُّنيا، وشدائدِها وأهوالِها ومصائبها، ومنجاتُه يوم يقف بين يدي الله ـ تبارك وتعالى ـ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٦٥).

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ]، فدخول الجنَّات والفوز برضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنَّما هو بالصِّدق معه عَزَّوَجَلَّ، وفي هذا المعنى يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ]، فارتبط الفلاحُ والنَّجاةُ والخيريَّةُ والسَّعادةُ والفَوزُ بالصِّدق مع الله عَزَّوَجَلَّ.

والنُّصوصُ في هذا المعنى كثيرةٌ وكلُّها تُؤَكِّدُ أهمِّيَّةَ الصِّدق، وضرورة العناية والاهتمام به، وأنَّه لا نجاةَ للعبد ولا فوزَ له في الدُّنيا والآخرة إلَّا به.

وممَّا يدلُّ على عظم مكانةِ الصِّدق: أنَّ الصِّدقَ ركنٌ يقوم عليه توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ؛ فإنَّ توحيدَ الله ـ جلَّ وعلا ـ يقوم على رُكنَيْن عظيمَيْن، وأساسَيْن مَتينَيْن هما: الصِّدق والإخلاص؛ كما قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نونيِّته»:

والصِّدقُ والإخلاصُ رُكْنَا ذلك التَّـ

ـوحيد كالرُّكنَيْن للبُنْيَانِ[1]

فتوحيد الله ﷻ يقوم على الإخلاص والصِّدق.

والفرق بينهما: أنَّ الإخلاصَ توحيدُ المراد المقصود المعبود الملتجَأ إليه بأن لا يجعلَ معه شريكًا وأن يُفرِدَهُ بالعبادة، وأمَّا الصِّدق فبتوحيد الإرادة والطَّلب، وذلك بجمعيَّة القلب والهمَّة والعزيمة على الوفاء بالعبادة وتكميلها وتتميمها وأنْ لا يُشغِلَ القلبَ بغيرها، فالإخلاص توحيدُ المراد، والصِّدق توحيدُ الإرادة، وفي هذا المعنى يقول ابن القيِّم رحمه الله في «نونيَّته»:

فلواحدٍ كُنْ واحدًا في واحدِ

أعني سبيلَ الحقِّ والإيمان[2]

---

(١) «نونيَّة الإمام ابن القيِّم» (ص ٢١٩).

(٢) المصدر السَّابق (ص ٢١٩).

وهذه أركانٌ ثلاثةٌ يقوم عليها الإيمان وعليها مدار النَّجاة:

* الأوَّل: في قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلِوَاحِدٍ» أي مُخلِصًا، فلا تجعل معه شريكًا.

* والثَّاني: في قوله: «كُنْ وَاحِدًا» أي صادقًا بهمَّتك وعزيمتك وجدِّك واجتهادك.

* والثَّالث: في قوله: «فِي وَاحِدٍ» أي مُتَّبِعًا لطريقِ الحقِّ والإيمان.

فبهذه الأمور الثَّلاثة يَنال العبد السَّعادةَ والفلاحَ والفوزَ والنَّجاةَ في الدُّنيا والآخرة.

ولهذا؛ فإنَّ الصِّدقَ والإخلاصَ قرينان، وانظر في اقترانهما قولَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ]، واجتناب الرِّجس: بلزوم الإخلاص، واجتناب قول الزُّور: بلزوم

الصِّدق، وبهذَيْن نجاةُ العبد وفلاحُه في دنياه وأخراه.

وهما شرطان لقَبول كلمة التَّوحيد «لا إلهَ إلَّا الله»؛ ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «قيل: يا رسولَ الله، مَنْ أَسْعدُ النَّاس بشفاعتك يومَ القيامة؟ قال رسولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»[(١)].

وفي «الصَّحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ ومعاذ رضي الله عنه رديفُه على الرَّحل، قال: «**يَا مُعَاذُ ابْنَ جَبَلٍ**»، قال: لبَّيْكَ يا رسول الله وسعدَيْك، قال: «**يا مُعَاذُ**»، قال: لبَّيْك يا رسول الله وسعدَيْك ـ ثلاثًا ـ، قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، صِدْقًا**

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

مِنْ قَلْبِهِ، **إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ**» قال: يا رسول الله، أفلا أُخبِرُ به النَّاسَ فيستَبْشِروا؟ قال: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**»، وأخبَرَ بها معاذٌ رضي الله عنه عند موتِه تأثُّمًا[1].

فاشترط في الأوَّل الإخلاصَ، واشترط في الثَّاني الصِّدق.

فمَنْ لم يَكُنْ مُخلِصًا في «لا إله إلَّا الله» فهو مُشرِكٌ، ومَن لم يكن صادقًا في هذه الكلمَة فهو منافقٌ، كما قال الله سبحانه وتعالى عن المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [سُورَةُ المُنَافِقُونَ].

وقولُ العَبد: «لا إله إلَّا الله» لا بُدَّ أن يَنْبُعَ من قلب صادقٍ؛ ليتقبَّلها الله سبحانه وتعالى منه؛ وليكون من أهلها حقًّا وصدقًا، فإن لم يقلها من قلبٍ صادقٍ، ونطقها نطقًا مُجرَّدًا بلسانه، لم يَنْتَفِعْ بها ولم يكن بذلك مِن

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) واللَّفظ له، ومسلم (٣٢).

أهلها، وقد جاء عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ العَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وأَنَا أَكْبَرُ، وإذا قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، قال: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وإذا قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا شَرِيكَ لِي، وإذا قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهُ المُلْكُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، قال: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِيَ المُلْكُ ولِي الحَمْدُ، وإذا قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، وقال: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»[1].

تأمَّل في كلِّ ذلك مع تكرُّر كلمة التَّوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) أخرجه التِّرمذي في «جامعه» (٣٤٣٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٩٤)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٨٥١) واللَّفظ له.

اللهُ» في هذا الحديث العظيم تكرَّر قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: «**صَدَقَ عَبْدِي**»، وقِف عند قوله: «**عَبْدِي**» فإنَّ هذه العبوديَّة المضافَةَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ المقتضِيَةَ للتَّشريف والتَّكريم والفَضل والإنعام إنَّما ينالها مَنْ صَدَقَ في قوله «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، أمَّا مَنْ قالها بلسانه، ولم يكن صادقًا في قولها مِن قلبه؛ فإنَّها لا تنفَعُه بل يكون مع قَوله لها مِن غَير صدق ـ إن ماتَ على ذلك ـ من أهل الدَّرْك الأسفل من النَّار.

فلابدَّ في «لا إله إلَّا اللهُ» من الصِّدق، والنَّاس في هذا فريقان: كاذبٌ مُكَذِّب، وصَادِقٌ مُصَدِّق، والله يقول: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، فذكر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ النَّاس فريقان: صادقٌ مُصَدِّق ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾،

وكاذبٌ مكذِّب الَّذي كذَّب بالحقِّ وكذَب على الله عَزَّوَجَلَّ.

والصَّادق المصدِّق الَّذي جاء بالصِّدق وصدَّق به هو مَنْ صَلَحَ منه العلمُ والعملُ، فصلاح العلم بالتَّصديق بالحقِّ، وصلاحُ العَمل بالمجيء بالصِّدق.

وبهذا ـ أيضًا ـ يُعلم أنَّ الصِّدقَ مع الله عَزَّوَجَلَّ كما أنَّه عبوديَّةٌ محلُّها القَلب فهو عمل يظهر على الجوارح كلِّها.

وكما أنَّه يُطلب منَ القَلب أن يكونَ صادقًا، فكذلك اللِّسان، وكذلك الجوارح، ولهذا كما يوصفُ القلبُ بالصِّدق، فإنَّ اللِّسان ـ أيضًا ـ يوصَفُ بالصِّدق، والجوارح ـ أيضًا ـ توصف بالصِّدق.

ومِن وَصْف اللِّسان بالصِّدق ما جاء في الدُّعاء العَظيم في حديث شدَّاد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يَا شَدَّادُ بنَ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ والفِضَّةَ، فاكْنِزْ هَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ:**

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، والعَزِيمَةَ على الرُّشْدِ، وأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وحُسْنَ عِبادَتِكَ، وأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وأَعُوذُ بك مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ»[1].

فقال «**لِسَانًا صَادِقًا**»، واللِّسان الصَّادق: هو الَّذي يتَّفِقُ مع القَلب بأَنْ يستَوي السِّرُّ والعَلنُ، اللِّسانُ والقَلبُ، لا أن يقولَ بلسانه ما لا يؤمنُ به، ويعتقدُه في قَلبه.

وبمناسبة ذكر هذه الدَّعوةِ العظيمة؛ فإنَّ فيها منجاةً للعبد، ولا سيَّما عندما تنصرفُ القُلوب إلى الدُّنيا، وتُفتَن بها، والنَّبيُّ ﷺ نبَّه على هذه الدَّعوة العظيمة في هذا

---

(١) أخرجه الطَّبراني في «المعجم الكبير» (٧١٣٥)، وفي «الدُّعاء» (٦٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٥).

الموضع قال: «**إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ والفِضَّةَ**» أي: إذا انصرفَت قلوبُهم إلى الدُّنيا وفُتنوا بها، وكانت الدُّنيا أَكْبَرَ همِّهم ومَبلَغَ علمهم وشُغلهم الشَّاغل، فاكْتَنِز هذه الدَّعوات.

وفعلًا؛ إذا تأمَّلْتَ مضامين هذه الدَّعوات، وما اشتملت عليه من مطالب عَلِيَّةٍ ومعاني رفيعةٍ، تجدُ أنَّ فيها منجاةً للعبد، وشرحُ ذلك يطول.

وأمَّا وصفُ الجوارح بالصِّدق والكذب ففي الحديث الصَّحيح عندما قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، والأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، واللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، واليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، والرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَى ويَتَمَنَّى، ويُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ ويُكَذِّبُهُ**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) واللَّفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فوصفَ عملَ الجوارح بذلكَ؛ بالصِّدق أو الكذب قال: «**ويُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ ويُكَذِّبُهُ**».

ولهذا؛ كانت الأعمال نفسها على قسمين: أعمال صادقة، وأعمال كاذبة.

وإذا قيل: «**إنَّ الصِّدقَ منجاة**» فإنَّ معنى ذلك: أنَّ نجاةَ العبدِ في الصِّدق بالقَلب اعتقادًا، واللِّسان نطقًا، والجوارح عملًا، فلابُدَّ أن تكونَ هذه كلُّها صادقةً.

وتأمَّل في هذا المعنى الآيةَ الَّتي تُعرَفُ عند أهل العلم بـ«آية البِرِّ» وهي قول الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

فإنَّ قوله ـ جلَّ في عُلاه ـ في تمامها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ راجعٌ إلى أمرَيْن:

الأوَّل: صحَّة الاعتقاد، بصلاح قلوبِهم بأصول الإيمان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ﴾ وهذه أصول الإيمان الَّتي عليها قيامُه، وهي للدِّين بمثابةِ الأصول للأشجار والقواعد للبُنيان ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ]، فكما أنَّ الشَّجرةَ لها أصلٌ لا تقوم إلَّا عليه، فالإيمان كذلك له أصولٌ لا يقوم إلَّا عليها.

فأصولُ الإيمان مكانُها القَلب، وهي المذكورة هُنا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۧنَ﴾.

الإيمانُ بالله ربًّا خالقًا، والإيمانُ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، والإيمانُ بأنَّه المعبود بحقٍّ، ولا معبودَ بحقٍّ سواه، وإفرادُه ﷻ وحدَه بالعبادة، وإخلاصُ الدِّين له وحده، والتَّخلُّصُ منَ الشِّرك، والبراءةُ منه ومِن أهله.

والإيمان بالملائكة ذلكَ الجند العَظيم؛ إيمانًا بأسمائهم وأوصافهم وأعدادهم ووظائفهم إجمالًا فيما أُجْمِلَ، وتفصيلًا فيما فُصِّل، كما أمَر الله ﷿، وكما جاء في سنَّة رسول الله ﷺ.

والإيمان بالكتَاب: أي بكلِّ كتابٍ أنزله الله ﷿ على كلِّ رسول ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [الشورى: ١٥]، وأنَّها أنزلها هدايةً للعالمين، وصلاحًا للعباد، وأنَّها مُشتَمِلَةٌ على الحقِّ والهدى، وأنَّ مَنْ آمن بها فاز وسعد، ومَن لم يُؤمِنْ خاب وخسر.

والإيمان بالنَّبيِّين الَّذين بعثَهم اللهُ ﷻ مُبشِّرين ومُنْذِرِين، بأن يؤمنَ ويصدِّقَ بكلِّ رسولٍ أرسَله الله ﷿،

وأنه بلَّغ البلاغَ المبين، وما ترك خيرًا إلَّا دلَّ أمَّته عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّرها منه.

والإيمان باليوم الآخر؛ وهو اليوم الموعود يوم الجزاء والحساب، وهو كلُّ ما يكون بعد الموت، والإيمان بالتَّفاصيل المُتعلِّقة بذلك اليوم الواردة في الكتاب والسُّنَّة.

وهذه كلُّها عقائدُ مكانُها القَلب.

الأمر الثَّاني: صلاحُ الأعمال؛ وذلكَ بحُسن الانقياد والاستسلام لله تبارك وتعالى، بفعل ما شرع، والبُعد عمَّا نهى الله ـ تبارك وتعالى ـ عنه؛ فهذا كلُّه مِن صدق العَبد معَ الله ـ جلَّ وعلا ـ.

ولهذا؛ فإنَّ إقامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ، وفعلَ جميع فرائض الإسلام الَّتي أُمِر العَبد بها من أمارةِ الصِّدقِ مع الله ـ جلَّ وعلا ـ، لا أن تكونَ حالُه في العبادةِ وأداء الفَرائض حالًا انتقائيَّةً بحيثُ يفعل منَ الفَرائض ما أقبلَت عليه نفسُه،

وما لم تُقبِل عليه نفسُه منها لا يفعَله!! فهذا ليس من علاماتِ الصَّادقين مع الله.

فعُلم بذلكَ أنَّ الصِّدقَ مع الله عِلمٌ وعملٌ، عقيدةٌ وشريعةٌ، ليسَ الصِّدقُ مع الله شيءٌ يكونُ في القَلب دون أن يكونَ له أثرٌ في جوارح العَبد، بل الصِّدقُ مع الله ـ جلَّ وعلا ـ صلاحٌ في الباطن والظَّاهر، في السِّرِّ والعَلن، كما يُوضِّح هذا المعنَى قولُ نبيِّنَا الكريم ـ صلواتُ الله وسلامه وبركاته عليه ـ: «**أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ القَلْبُ**»(١).

وهذا فيه تبيانُ أنَّ صلاحَ القَلب بالصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ ينعكسُ على لسانِ المرءِ بأن يكون لسانًا صادقًا، وعلى جوارح العَبد بأن تكونَ صادقةً في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما.

قيامِها بطاعة الله ﷻ.

وأيضًا؛ يُفهَم مِن هذه الآية أنَّ أعمالَ الجوارح وشرائع الإسلام الظَّاهرة كلَّها مظاهرُ للصِّدق مع الله إذا نبعَت من قَلب المرء، ولم يكن مُتظَاهرًا بها، ولهذا تأمَّلْ ـ على سبيل المثال ـ ما رواه عبدُ الله بن عَمْرو رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه ذكرَ الصَّلاةَ يومًا، فقال: «**مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وبُرْهَانًا، ونَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، ولَا بُرْهَانٌ، ولَا نَجَاةٌ، وكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ، وفِرْعَوْنَ، وهَامَانَ، وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**»(١).

وهؤلاء الأربع صناديدُ الكفر وأعمدَتُه، وأبيٌّ هذا هو الوحيد مِن بين المشركين من باشر النبي ﷺ قتله بيده لم يقتل قبله ولا بعده أحدًا، والشَّاهد من هذا الحديث قوله: «**مَنْ**

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٥٧٦)، والدَّارمي في «سننه» (٢٧٦٣)، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٦٣، ١٤٧٤٦).

حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وبُرْهَانًا ونَجَاةً»، فقوله: «**وبُرْهَانًا**» أي على صدقِهِ في إيمانِه، ومثل ذلك أيضًا قول النَّبيِّ ﷺ: «**والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»[1].

والصَّلاة فريضةٌ مِن فرائض الإسلام، وركنٌ من أركانه العظام، وإنَّما سُمِّيَت صلاةً؛ لأنَّها صلةٌ بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ، فمَن ترك الصَّلاةَ قطع الصِّلةَ، ومَن أضاع الصَّلاةَ فهو لما سواها أضيَع.

ولو تأمَّلْتَ في نزول الفرائض على نبيِّنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تجدُ أنَّ أوَّلَ ما فُرِض على النَّبيِّ ﷺ هو التَّوحيد؛ فإنَّ الآيات الَّتي بُعِثَ بها وأصبح بها رسولًا ﷺ هي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [سُورَةُ المُدَّثِّرِ].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأمَرَ بالتَّوحيد والإخلاص، والبراءة منَ الشِّرك، ومضى على الدَّعوة إلى التَّوحيد عشرَ سنواتٍ كاملاتٍ لم ينزل عليه فريضةٌ إلَّا التَّوحيد، وبعدَ أن أتمَّ عشرَ سنواتٍ كاملاتٍ عُرج به ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ إلى ما فوق السَّماء السَّابعة، وفُرضت عليه الصَّلاةُ خمسينَ صلاةً، ثُمَّ خُفِّفَت إلى خمسِ صلواتٍ في اليوم واللَّيلة، فكانت خمسٌ في العَمل، وخمسين في الأجر والثَّواب، وبقي الأمرُ على هذه الحال حتَّى هاجرَ إلى المدينة وبقي فيها سنَتَيْن، ثمَّ فُرِضَ عليه الصِّيام والزَّكاةُ في السَّنةِ الثَّانية من الهجرة، ثمَّ بعد فريضَة الصِّيام والزَّكاة بخمسِ سنوات في السَّنة التَّاسعة من الهجرة فُرض الحجُّ، ومع هذَا فإنَّك ترى بعضَ مَن يَحجُّ؛ ولا يُصلِّي!! فهل عَرَفَ هؤلاءِ الإسلامَ حقيقةً؟!

بل ترى مَن يَحجُّ ويأتي بما ينقُضُ التَّوحيدَ ويهدم الدِّين بالتَّوجُّه إلى غير الله ﷻ بالدُّعاء، فتراه يحجُّ وفي أثناء

الحجِّ يسأل المَدَد من غير الله، ويلتَجئ باستغاثتِه إلى غَير الله، ويطلبُ شفاءَه وصلاحَ أموره مِن غَير الله، فهل هذَا أقامَ الدِّين لله ﷻ كما أمر؟! وهل حقَّق الصِّدقَ في العُبوديَّة لله ـ جلَّ وعلا ـ بإخلاص العَمل لله ﷿ وصدقِ المتابعَة لرسُول الله ﷺ؟!

ولهذا؛ فإنَّ الصِّدقَ مع الله ـ تبارك وتعالى ـ صلاحٌ للعَبد في قلبه بالتَّوحيد والإيمان والإخلاص والإذعان والمحبَّة لله ـ تبارك وتعالى ـ والطَّواعية والامتثال لأمرِه.

فإذا صحَّ منَ العَبد صدقُه مع الله ـ تبارك وتعالى ـ، وكان قلبه صادقًا مع الله ـ تبارك وتعالى ـ؛ فإنَّ الجوارحَ ـ ولا بدَّ ـ تستقيمُ باستقامة هذا القلب؛ إذ إنَّ الجوارح لا يمكن أن تتخلَّف عن مُرادات القلوب، وما يكونُ على الجوارح سواءً اللِّسان أو أعضاء الإنسان من فساد، فهو راجعٌ إلى فسادٍ في القَلب، وخللٍ فيه، وضعفٍ في صدقه مع

اللهِ ـ تبارك وتعالى ـ، وصدق الإقبالِ عليه ـ جلَّ وعلا ـ.

وهذا كلُّه ممَّا يؤَكِّد أهمِّيَّة الصِّدق مع الله، وكِبَرِ شأنه، وأنَّ الواجبَ على العَبد أن يَصدُقَ مع الله ـ تبارك وتعالى ـ، وأن لا تتخطَّفَهُ فتنُ هذه الدُّنيا ومُلهِيَاتُها وشَواغِلُها الكثيرة الَّتي تَحْرِفُ بالإنسان إذا فُتن بها عن طريق الصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى دروبٍ مُعْوَجَّةٍ، وسبلٍ منحرفةٍ، وطرائقَ ملتويةٍ، تؤدِّي بصاحبها إلى الهلاك يظنُّها بادئَ ذي بدْءٍ أنَّها جمالٌ وزينةٌ وخيرٌ يحصِّله، بينما هي كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظَّمآنُ ماءً حتَّى إذا جاءه لم يجِدْه شيئًا، فكلُّها تَحْرِفُ المرءَ عن الصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى سُبلٍ كثيرةٍ حائدةٍ عن صراط الله ـ تبارك وتعالى ـ المستَقيم.

وقد ورد هذَا المعنى في الحديث الَّذي خرَّجه الإمام أحمد في «المسند» وغيرُه عن النَّواس بن سَمعان الأنصاري

رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فيهما أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وعلى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، ولَا تَتَعَرَّجُوا، وداعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا من تلك الأَبْوَابِ، قال: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، والصِّرَاطُ الإِسْلَامُ، والسُّورَانِ: حُدُودُ الله، والأَبْوَابُ المُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ الله، وذلك الدَّاعِي على رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ الله، والدَّاعِي من فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ الله في قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

وهذا المَثَلُ العظيم يوضِّح لنا المحكَّ في هذا الباب،

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٦٣٤) واللَّفظ له، والتِّرمذي في «جامعه» (٢٨٥٩)، والنَّسائي في «السُّنن الكبرى» (١١١٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٥).

ويتبيَّن من خلاله مدى صدقِ العبد في سَيْره على هذا الصِّراط ولزومه له، أو أنَّه لا ينجح في هذا الامتحان كما تقدَّم في الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ]، فالسَّائر إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلى نيل رضوانِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو بمثابة الرَّجُل الَّذي يَسيرُ في طريقٍ مستقيمٍ، فإنْ واصَل السَّيرَ دونَ انحرافٍ دلَّ ذلك على صدقه ووصَل إلى رضوانِ الله ـ تبارك وتعالى ـ والجنَّة، وعلى جنبَتَيْ هذا الصِّراط أبوابٌ عليها ستورٌ مُرْخَاةٌ، ومنَ المعلوم أنَّ البابَ الَّذي ليس عليه قُفل لا يحتاجُ عند الفَتح إلى معالجة، ولا يُكلِّف جهدًا ولا وقتًا، وهي أبوابٌ كثيرةٌ تُخرِج الإنسان عن طريق الصِّدقِ مع الله.

فالمقام يحتاج منَ العَبد إلى مجاهدةٍ للنَّفس، واستعانةٍ بالرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سُورَةُ العَنكَبُوتِ]، والنَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول: «**احْرِصْ على مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بالله، ولَا تَعْجَزْ**»[1].

وثمَّةَ لطيفةٌ يَحسُنُ الإشارةُ إليها وهي أنَّ الصِّدقَ ورد في القُرآن مُضافًا إليه خمسةُ أشياء وهي: مُدخَل الصِّدق، ومُخرَج الصِّدق، وقَدَمُ الصِّدق، ولسانُ الصِّدق، ومقعَدُ الصِّدق.

١و٢ـ أمَّا مُدخل الصِّدق ومُخرجُه، ففي قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ [الإسراء: ٨٠].

٣ـ وأمَّا قَدمُ الصِّدق، ففي قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢].

٤ـ وأمَّا لسانُ الصِّدق، ففي دُعاء إبراهيم: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [سورة الشعراء].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥ـ وأمَّا مَقعَدُ الصِّدق، ففي قوله ـ تبارك وتعالى ـ في آخرَ آيةٍ من سُورة القَمر: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [سُورَةُ القَمَرِ].

وهذه الخمس الَّتي جاءت في القُرآن مضافةً إلى الصِّدق بعضُها آخذٌ ببعض، فهي كعِقدٍ ثمينٍ كلُّ خرزة منه توصِل إلى الأخرى وتُفضي إليها، بدْءًا مِن مُدخل الصِّدق ومُخرج الصِّدق؛ وذلك بأن يكونَ العبد في تحرُّكاته، وتنقُّلاتِه، ودخوله، وخروجه، وذهابِه، وإيابِه بالله ولله ووَفْق أمْرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإذا كان العبدُ مُلتزِمًا بهذا؛ فإنَّه يكونُ بذلكَ قَد قدَّم لنفسِه أمرًا عظيمًا تكونُ به نجاته يومَ يلقَى الله عَزَّ وَجَلَّ وهو قدَم الصِّدق، ومِنْ أَحْسَنِ ما قيل في معنَى ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ أي: أعمال صالحة وفَّقَهُم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لتقديمها في هذه الحياة ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٢٣]؛ لأنَّ وجودَه في هذه الحياة الدُّنيا

فرصةٌ لأَنْ يُقَدِّم منَ الخير ما يجدُه عند الله يوم القيامة.

وهذا الصِّدق يُثمِرُ في الدُّنيا لسانَ صدقٍ في النَّاس ذكرًا حسَنًا، وثناءً عاطرًا، ومعرفةً بمآثر الشَّخص وفضائله، فكم مِن أُنَاسٍ توفَّاهم الله عَزَّوَجَلَّ من قرونٍ طوالٍ، ولا يزال مع كرِّ الأيَّام ومرِّ اللَّيالي لا ينقطع النَّاسُ مِن ذِكرهم، والثَّناءِ عليهم، والإفادةِ منهم، وذِكرِهم بالجميل، وللصَّحابة الكرام رضي الله عنهم الحظُّ الأوفَرُ والنَّصيبُ الأكبر من ذلكَ، وهذَا مِن عاجل البُشرى في هذه الحياة الدُّنيا، وأمَّا في الآخرة، فلهؤلاء مَقعَدُ الصِّدق عند الله ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

فارتبَطَت هذه الخمس الَّتي أُضيفَتْ إلى الصِّدق بعضُها ببعض، وكلٌّ منها يُفضي إلى الآخَر ويُؤدِّي إليه، والتَّوفيقُ بيَدِ الله ـ تبارك وتعالى ـ وحدَه لا شريكَ له، هو وحدَه المُعين، والموفِّق لمن شاء مِن عباده إلى الصِّدق معه،

لا حول ولا قوَّةَ إلَّا به.

ثمَّ إنَّ مِن أمارات الصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يكون أكبرُ همِّ الإنسان الآخرة، وليس من أمارات الصِّدق مع الله أن يكون أكبرُ همِّ الإنسان الدُّنيا بحيث لا يجعل للآخرة إلَّا ما فَضُلَ من وقته، وفي الدُّعاء المأثور عن نبيِّنا ﷺ: «**وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا**»[1].

وفي النَّاس مَن إذا سُئل عن بعض الدَّقائق والتَّفاصيل من الأمور الدُّنيويَّة تجده يُتقنها تمامَ الإتقان ويجيدها تمامَ الإجادة، وإذا سُئل عن بعض الفَرائض الَّتي خُلق لأجلها وأُوجِد لتحقيقِها فهو لا يعرفُها، وقد قال الله سبحانه وتعالى في وصف الكفَّار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

(١) أخرجه التِّرمذي في «جامعه» (٣٥٠٢)، والنَّسائي في «عمل اليوم واللَّيلة» (٤٠١)، وابن السُّنِّي في «عمل اليوم واللَّيلة» (٤٤٦)، والبزَّار في «المسند» (٥٩٨٩).

﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

وأين الصِّدق مع الله إذا كانت حالُ المرء في الدُّنيا أنَّه لا يعرفُ الفرائضَ الَّتي خُلِقَ لأجلها، وقَد تقدَّم أنَّ حقيقةَ الصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ إنَّما تكون بمعرفة الدِّين عقيدةً وشريعةً، وبالطَّواعية والامتثال والانقياد لله ـ تبارك وتعالى ـ، فكُلَّما زاد الإنسانُ علمًا بدينه وعملًا به زاد صِدقُه.

ولهذا؛ فإنَّ أعلى رتبةٍ في الدِّين الصِّدِّيقيَّةُ، وهي الرُّتبة الَّتي تلي رتبةَ الأنبياء ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

وخيرُ هذه الأمَّة ـ أمَّة مُحمَّد ﷺ ـ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وقَد اشتَهر بهذه الصِّفة العظيمة، وهو رضي الله عنه أفضلُ

النَّاس كلِّهم بعد الأنبياء في جميع الأمَم، ليس أفضلَ أمَّة مُحمَّدٍ ﷺ فقط، بل هو أفضلُ النَّاس بعد الأنبياء في جميع الأمم، فليس في أممِ الأنبياء شخصٌ أفضلَ من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في الحديث الصَّحيح: «**أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ من الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، مَا خَلَا النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ**»[1].

وهاهنا لفتةٌ بشأن مَن كان مخذولًا ممَّن ينتَسِبُ لهذا الدِّين ويطعنُ في صدِّيقِ الأمَّة رضي الله عنه صباحًا ومساءً، أين الصِّدق مع الله؛ وأينَ حقيقةُ الصَّلاح وحقيقةُ الإيمان بالله ـ تبارك وتعالى ـ؟!

إذا كان أفضلُ الأمَّة وصدِّيقُ الأمَّة رضي الله عنه لا يُعرفُ قَدرُهُ، بل يُطعن فيه أشدَّ الطَّعن، ويقع فيه بعضُ النَّاس أشَدَّ

(١) أخرجه التِّرمذي (٣٦٦٥، ٣٦٦٦)، وابن ماجه (٩٥)، وأحمد (٦٠٢)، وغيرهم وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٨٢٤).

الوقيعَة، أين حقيقةُ صدقِهم مع الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا كانَ هذا موقفُهم مِن أرفَع الأمَّة شأنًا في الصِّدق مع الله؟! وأين حقيقة الصدق إذا كان صدِّيق الأمة ومقدمهم يطعن فيه؟!

ثمَّ إنَّ الصِّدق مع الله أمرٌ تحقَّق للصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأحزاب]، فحسْب الإنسان فضيلةً ومكرمةً وصدقًا مع الله أن يكون سليمَ القَلب تُجاهَ الصَّحابة رضي الله عنهم، سائرًا على نهجهم رضي الله عنهم، قال جل جلاله: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء].

وفي آياتٍ عديدةٍ في القُرآن أخبرَ ـ جلَّ وعلا ـ عن رضاه عنهُم ورضاهُم عنه، بل أثنَى عليهم رضي الله عنهم في التَّوراة والإنجيل قبل أن يُخلَقُوا قال تعالى في آخر آيةٍ من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذا ثناءٌ عاطرٌ مِن ربِّ العَالمين ـ جلَّ وعلا ـ على الصَّحابة الكرام رضي الله عنهم قبلَ أن تَطَأَ أقدامُهم الأرض، وقبل أن يُخلَقُوا، وفي القُرآن آياتٌ كثيرةٌ في الثَّناء على الصَّحابَة رضي الله عنهم، فإذا أُصِيبَ قلبُ إنسانٍ بغِلٍّ تُجاه الصَّحابة فليسَ صادقًا مع الله ـ جلَّ وعلا ـ، ولا صادقًا في إيمانه بالقُرآن؛ إذْ كيفَ يكونُ صادقًا في الإيمان بالله وبالقرآن مَن امتلأ قلبه

غلًّا لخيارِ مَنْ أثنى الله عليهم في القرآن؟!

ولهذا لَمَّا أثنَى اللهُ على الصَّحابة مهاجرين وأنصار رضي الله عنهم بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ] وهي شهادةٌ من ربِّ العالمين للمهاجرين بالصِّدق، ثمَّ قال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾، ثمَّ ذكرَ حال الصَّادقين الَّذين جاءوا بعدَهُم مِن أهل الإيمان الصَّادق، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فإذا كان في

قلب الإنسان غلٌّ لمن قال الله ـ جلَّ وعلا ـ فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ فما أبعدَه عن حقيقَة الصِّدقِ مع الله ﷻ، وحقيقةِ التَّصديق بكتابِه المُنزَّل، وبنبيِّه المُرسَل ﷺ.

ولهذا؛ فإنَّه عندما يُتحدَّثُ عن الصِّدق معَ الله ﷻ لابدَّ لتحقيق هذا المقام منَ العودة إلى الحياة المجيدَة حياة الرَّعيل الأوَّل أصحاب النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّ مَن كان بهم أشبَهَ كان إلى الصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ أقربَ، ومَن كان بعيدًا عن هذا المقام وفي قلبه غلٌّ لأصحاب النَّبيِّ ﷺ فقد حال بينَ نفسِه وبين حقيقَة الصِّدق مع الله ﷻ.

والطَّعن في الصَّحابة طعنٌ في الدِّين نفسِه إذ «الطَّعن في النَّاقل طعنٌ في المنقُول»، وبهذا يُعلَم أنَّ الطَّعنَ في أصحاب النَّبيِّ ﷺ يكون قاطعًا تمامًا، وحائلًا بين الإنسان وبين تحقيق الصِّدق مع الله ﷻ؛ لأنَّ الَّذين نقلوا

لنا حقيقةَ الصِّدق مع الله ـ تبارك وتعالى ـ هم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ، فإذا طُعن فيهم كيف يُحقِّقُ الإنسانَ صدقًا مع الله ـ تبارك وتعالى ـ، وقَد طعَن في نَقَلَتِه؟!

قال أبو زرعة الرَّازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيتُمُ الرَّجلَ ينتقصُ أحدًا مِن أصحاب النَّبيِّ ﷺ فاعلَمُوا أنَّه زنديق؛ لأنَّ الدِّينَ حقٌّ، والقُرآنَ حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا ذلك الصَّحابة»[1].

وتأمَّلْ هنا قولَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ] ترى حقيقة الخيريَّة الَّتي تفوزُ بها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّها مُرتَبِطَةٌ بصدقك مع الله، وأنَّك كلَّما صدقتَ مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فُزْتَ بالخير، ولا فوزَ بالخير إلَّا بالصِّدق مع الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمْرَان: ١١٠] والصَّحابة يدخلون في

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الكفاية» (ص ٤٩).

هذه الآية ﵃ دخولًا أوَّليًّا، وقال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[1]؛ وذلكَ أنَّ الصَّحابةَ ﵃ ـ بلا ريب ـ حقَّقوا هذا المقامَ على أحسَنِ حالٍ، وأطْيَبِ مقامٍ، فكان ذلك خيرًا لهم، فما أعظمَ شَأْنَهُمْ ﵃.

والموضوع ـ كما لا يخفَى ـ موضوعٌ كبيرٌ وواسعٌ، وموضوعٌ جليلٌ ذو شأن عظيم، وحاجتُنا جميعًا شديدةٌ إلى العناية به والاهتمام، ليتحقَّق لنا بذلكَ النَّجاةُ والفَوزُ يوم أن نلقَى اللهَ ﷻ.

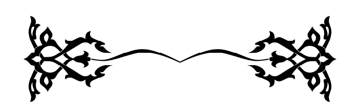
وأسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوَفِّقنا أجمعين لما يحبُّه ويرضاهُ مِن سَديد الأقوال وصالح الأعمال، وأن يُصلِحَ لنا شأنَنَا كُلَّه، وأن لا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود ﵁.

يكِلَنا إلى أنفُسِنا طرْفَةَ عينٍ، وأن يَغْفِرَ لنا أجمعين إنَّه سميعُ الدُّعاء، وهو أهلُ الرَّجاء، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنَا مُحمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين[1].



(١) أصل هذه الرِّسالة محاضرتان؛ إحداهما أُلقِيَت في مُخيَّم الحرمين في مِنًى عام ١٤٢٩، والثَّانية أُلقِيَت في الجامعة الإسلاميَّة في ١٥/ ١٢/ ١٤٣٤، وقد جرى المزج بين مضمونهما في هذه الورقات.